

A critical study of the seeing of God due to Ibn Taymiyya's thought

Gyour Al-Hassanein

PhD Student in Islamic Philosophy, Al-Mustafa International University, Pakistan.
E-mail:Ghayyurabbas146@gmail.com

Abstract

The idea of seeing God was present in Ahmad bin Hanbal's school of thought. Ibn Taymiyyah - a follower of Ahmad bin Hanbal- took this idea, theorized and organized it fully. He took the [religious] texts for their apparent meanings without paying attention to interpretation and authorization, nor did he refrain before ambiguous texts. In this study, we mentioned his views on the matter of seeing God in this world -at waking and sleeping - and in the afterworld in detail, besides criticizing them. He claims that he is a real monotheist, while the rest of Muslims, who disagree with him on proving the matter of seeing God, are disbelievers. However, when we look at the beliefs of Ibn Taymiyya, we would be astonished; because his beliefs are so far from the monotheism which the rest of Muslims believe in. He believes that seeing God in this world is possible objectively and not subjectively, but on the Day of Resurrection, it is possible objectively and not subjectively. Through the study, it has become clear that Almighty God can never be seen by man's eye, neither in this world nor in the afterworld, for there is nothing whatever like Him. Religious texts confirm this meaning.

Keywords: seeing God, seeing God in this world, seeing God in the afterworld, Ibn Taymiyya, anthropomorphism, criticism.

Al-Daleel, 2020, Vol. 3, No. 4, PP. 218-243

Received: 20/7/2020; Accepted: 17/8/2020

Publisher: Al-Daleel Institute of Theological Research and Studies

©the author

دراسة نقدية لرؤية الله عند ابن تيمية

غيور حسنين

طالب دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، باكستان.

البريد الإلكتروني: ghayyurabbas146@gmail.com

الخلاصة

إنّ فكرة رؤية الله كانت موجودة في مدرسة أحمد بن حنبل، وابن تيمية - وهو من أتباعه - أخذ هذه النظرية ونظّمها في شكلٍ كاملٍ، وحمل النصوص على الظاهر دون التأويل والتفويض أو التوقف. ذكرنا آراءه في باب رؤية الله في الدنيا - في اليقظة والنام - والآخرة بالتفصيل مع نقدها. ويزعم أنّه هو الموحد، وأنّ بقية المسلمين الذين يخالفون رأيه في باب إثبات رؤية الله كفاراً. لكن عندما ننظر إلى عقيدة ابن تيمية، نتعجب؛ لأنّها تقوم على أسس بعيدة عن التوحيد الذي عليه المسلمون؛ إذ يرى أنّ رؤية الله في الدنيا ممكنة ثبوتاً ولم تقع إثباتاً. أما يوم القيامة ممكنة ثبوتاً وإثباتاً. واتّضح من خلال البحث أنّه لا يمكن أن يُرى - سبحانه وتعالى - بالعين لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنّه ليس كمثله شيءٌ، والنصوص الدينية تؤكد هذا المعنى.

الكلمات المفتاحية: رؤية الله، رؤية الله في الدنيا، رؤية الله في الآخرة، ابن تيمية، التجسيم، النقد.

مجلة الدليل، 2020، السنة العالعة، العدد الرابع، صص. 218 - 243

استلام: 2020/7/20 ، القبول: 2020/8/17

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية

© المؤلف

مقدمة

إنّ موضوع رؤية الله من المواضيع الخلافية بين مفكري الإسلام؛ إذ يتعلّق موضوع الرؤية بإشكالية التجسيم؛ الأمر الذي أثار جدلاً بين المذاهب الإسلامية المتعدّدة والمختلفة، والذين قالوا برؤية الله يوم القيامة هم: الأشاعرة، وأهل الحديث، والسلفية، والماتريدية. فابن تيمية يشبّه الله - تعالى - بخلقه ويجسّم ذاته المقدّسة. من هذا المنطلق اختار الباحث البحث وجعله مورد الدراسة والتحليل. والمنهج الذي يعتمد عليه الباحث خلال دراسته هو المنهج الوصفي التحليلي النقدي.

يشتمل هذا البحث على التمهيد وأدلة ابن تيمية في باب رؤية الله مع نقدها: التمهيد يحتوي على تعريف الرؤية، وبيان المباني الفكرية لابن تيمية في باب رؤية الله وبحث التجسيم إجمالاً، وأصل المسألة يتعلّق بتبيين أدلة ابن تيمية في باب رؤية الله في الدنيا أولاً وفي الآخرة ثانياً، مع نقدها، وفي الأخير ذكر الباحث النتائج التي توصل إليها من خلال البحث.

والله عند ابن تيمية على صورة البشر، وهو موجودٌ في مكانٍ خاصٍّ من الكون، وينزل إلى الأرض ويصعد، ويفرح ويضحك ويغضب. فمعبوده جسمٌ من نوع الطبيعة المخلوقة، وهو خاضعٌ لقوانين الزمان والمكان اللذين خلقهما، ويمكن رؤيته في الدنيا ثبوتاً ولم يقع إثباتاً. أمّا يوم القيامة ممكنةٌ ثبوتاً وإثباتاً. يرد عليه بأنّ ما تراه العين لا بدّ أن يكون موجوداً داخل المكان والزمان، والله - تعالى - وجودٌ متعالٍ على الزمان والمكان؛ لأنّه خلقهما، فكيف تفرضه محدوداً بهما خاضعاً لقوانينهما؟

1- تعريف المصطلحات في البحث

أ- تعريف الرؤية

لغة: الرأء والهزمة والياء أصلٌ يدلّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرةٍ. [انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 472] والرؤية بالعين تتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين. فالرؤية لغةً أنّها رؤية الأمور بشكلٍ سليمٍ، والإبصار بالعين والقلب. [انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1285]

اصطلاحاً: المراد من الرؤية هو الرؤية البصرية، وهي عبارةٌ عن انعكاس صورة المرئي على

العين عن طريق وصول النور النابع أو المنعكس من الأشياء إلى العين، ثم انتقال هذا النور على شكل أمواج عصبية إلى الدماغ من أجل تحليله وتفسيره وتعتل شكل المرئي وصورته. لا خلاف في تفسير رؤية الله بالإدراك المعرفي أو الكشف الشهودي (الرؤية القلبية) أو العلم الحضورى، بل إنما الخلاف في إمكانه

أ أو استحالتها هي الرؤية بمعنى إدراكه - تعالى - عن طريق حاسة البصر. [انظر: الحسون، التوحيد عند مذهب أهل البيت، ص 122]

ب - الدنيا

لغة: كلمة الدنيا من (دنى) الدال والنون والحرف المعتل أصل واحد يقاس بعضه على بعض، وهو المقاربة. ومن ذلك الدني، وهو القريب، من دنا يدنو. وَسُمِّيَتِ الدُّنْيَا لِذُنُوبِهَا، وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهَا دُنْيَاوِيٌّ. فالدنيا هي نقيض الآخرة. [انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 303]

اصطلاحاً: الدنيا أو الحياة الدنيا هي ذلك الحيز المكاني والزمني منذ خلق الله الكون وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهي بالنسبة للآدمي أو جنس الإنسان تمتد منذ خلق الله آدم ﷺ وإلى أن تقوم الساعة، أما بالنسبة للأفراد أو الأشخاص فهي لا تعدو تلك الفترة الزمنية التي تمتد من لحظة الميلاد إلى لحظة الوفاة. [انظر: صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ج 1، ص 2]

ج - الآخرة

لغة: كلمة الآخرة مقابل الأولى ودار الحياة بعد الموت ومن العين ما جاور الصدغ، ويقال حصل الشيء بآخره وجاء الشيء بآخرة أخيراً. [انظر: جمع من المؤلفين، المعجم الوسيط، ص 9]

اصطلاحاً: إذا كانت الدنيا دار ابتلاء وعمل، فإن الآخرة دار جزاء، وفيها تظهر نتيجة هذا الابتلاء ويلقى الإنسان جزاء ذلك العمل، يقول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة: 7 و8]، وإذا كانت الدنيا دار فناء فإن الآخرة هي دار بقاء، وقد وصفها الله ﷻ بقوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة

العنكبوت: 64]. انظر: صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ج 1، ص 4

د- التجسيم

التجسيم تفعيل من (الجسم)، ويعرّف (الجسم) من جهتين:

لغة: أنّ (الجسم) الجيم والسين والميم يدل على تجمّع الشيء. ما اجتمع من البدن أو الأعضاء، سواءً أكان ذلك لبني آدم أم لغيرهم كالبهائم. [انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 457]

اصطلاحاً: هناك تعريفات متعدّدة للجسم في الفلسفة والكلام. نذكر تعريفاً واحداً للاختصار، وهو أنّ (الجسم) جوهرٌ قابلٌ للأبعاد الثلاثة، وقيل: الجسم هو المركّب المؤلّف من الجوهر. [انظر: الجرجاني، التعريفات، ص 76]

2- المباني الفكرية لابن تيمية في باب رؤية الله

يرى ابن تيمية أنّ ما هو المحسوس والمتخيّل هو الموجود، وما ليس بمحسوسٍ فلا وجود له. [انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ج 1، ص 229 و230 و238؛ ج 2، ص 353؛ درء تعارض العقل والنقل، ج 10، ص 262 و263]

ويُرجع العقل والخيال والوهم إلى الحسّ، فالمعرفة الحسيّة هي المحور الأساسيّ عنده، ولها أهميّةٌ كبرى. ويُظهر هذه الأهميّة عند تعارض العقل والنقل عندما يرحح النقل على العقل. والملاك عند الاختلاف هو النصّ دون العقل. [ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج 1، ص 138]

إذن هو قائلٌ بأصالة الحسّ والظهور والنصّ، ويترتب على هذه المبادئ المعرفية آثارٌ كلاميةٌ مثل رؤية الله ومن لوازمها التجسيم.

وكذلك ابن تيمية يتبنّى النظرية الاسميّة في المعرفة - المذهب الاسميّ مذهب الذي يرى بأنّ الكليات ما هي إلّا مجرّد ألفاظٍ وأسماءٍ، وليس لها مدلولٌ واقعيٌّ في الخارج. وقد اشتهر بهذا المذهب في الفلسفة الحديثة في الغرب - ابن تيمية يرى أنّ المفاهيم الكلية لا تحكي عن شيءٍ في الخارج، بل هي أمورٌ ذهنيّةٌ فقط. وقد أخذ ابن تيمية هذه الأفكار من أحمد بن حنبلٍ ونظّمها في شكلٍ

كامل، وحمل النصوص على الظاهر دون التأويل والتفويض أو التوقف. [انظر: الحسنيين، دراسة نقدية لنظرية المعرفة عند ابن تيمية، ص 180]

أدلة ابن تيمية في باب رؤية الله ونقدها

نعتقد بأن الله - تعالى - لا يمكن أن يرى بالعين لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، و﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ إلى آخر الآيات الصريحة بأن الله - تعالى - لا يمكن أن يرى بالعين، بل يرى بالعقل والقلب، وهي أعمق وأصح من رؤية العين. وقد استدلل أئمتنا عليه السلام وعلماؤنا رحمهم الله على نفي التجسيم والرؤية بالكتاب والسنة والعقل. وعدوا ذلك من ضرورات مذهبنا، بل هو كالبدهيات حتى عند عوامنا. وأول ما ظهر القول برؤية الله - تعالى - بعد النبي صلى الله عليه وسلم من كعب الأحمار وأمثاله، فوقف أهل البيت عليهم السلام وجمهور الصحابة في وجه ذلك، ونفوا نسبة الرؤية بالعين إلى الإسلام، وما تستلزمه من التشبيه والتجسيم، ومنهم أم المؤمنين عائشة، وأحاديثها في ذلك صريحة مدونة في الصحاح كما ذكر ابن تيمية بنفسه في كتبه. [انظر: الكوراني، الانتصار، ص 9]

نذكر آراء ابن تيمية في ذلك مع نقدها في النقاط التالية:

1 - في إمكان رؤيته تعالى

إن الخلاف في إمكان الرؤية أو استحالتها هي بمعنى إدراكه - تعالى - عن طريق حاسة البصر كما بيّناه سابقاً في بحث معنى الرؤية. ولقد كثر الجدل بين علماء الفرق حول مسألة رؤية الله بهذا المعنى، وأخذ كل فريق يؤيد مذهبه بأدلة يزعم أنها تؤيد ما يذهب إليه من إثبات الرؤية أو نفيها. أما فيما يتعلق بغرضنا هنا - وهو بيان موقف ابن تيمية مع النقد - يقول ابن تيمية إن رؤية الله ممكنة بالذات و يقدم دليلاً عقلياً عليه بقوله: «فكل ما كان وجوده أكمل كان أحق بأن يرى، وكل ما لم يمكن أن يرى فهو أضعف وجوداً، فالأجسام الغليظة أحق بالرؤية من الظلام، لأنّ النور أولى بالوجود، والظلمة أولى بالعدم، والموجود الواجب الوجود أكمل الموجودات وجوداً وأبعد الأشياء عن العدم، فهو أحق بأن يرى، وإنما لم نره لعجز أبصارنا عن رؤيته لا لأجل امتناع رؤيته، كما أنّ شعاع الشمس أحق بأن يرى من جميع الأشياء» [ابن تيمية، منهج السنة، ج 2، ص 332 و333].

ويؤكد نفس المعنى بقوله: «فإن الرؤية وجودٌ محضٌ، وهي إنما تتعلق بوجودٍ لا بعمومٍ، فما كان أكمل وجودًا، بل كان وجوده واجبًا فهو أحقُّ بها مما يلزمه العدم؛ ولهذا يشترط فيها النور الذي هو بالوجود أولى من الظلمة والنور الأشدُّ كالشمس لم يمتنع رؤيته لذاته، بل لضعف الإبصار. فهذا يقتضي أننا نعجز عن رؤية الله مع ضعف أبصارنا؛ ولهذا لم يطق موسى رؤية الله في الدنيا، لكن لا يمتنع أن تكون رؤيته ممكنةً، والله قادرٌ على تقوية أبصارنا لئلا نراه» [ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص 238؛ وانظر: منهج السنة، ج 2، ص 332 و 333؛ الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ج 3، ص 319 و 320].

إذن رؤية الله من منظار ابن تيمية ممكنةٌ ثبوتًا؛ لأن وجود الله - سبحانه - أكمل الموجودات وجودًا، فهو أحقُّ بأن يُرى، ولكن غير واقعٍ إثباتًا لضعف البصر الحسي، لا لأجل امتناع رؤيته. يرد عليه:

أولاً: ما ملاك الأكمليّة عنده؟ فإن كان مقصوده من الأكمليّة هو أكمل محسوسٍ وقد فسّر ابن تيمية الأكمليّة بالمحسوس والدليل عليه قول: ما هو المحسوس والمتخيّل هو الموجود، وما ليس بمحسوسٍ فلا وجود له. [انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهميّة، ج 1، ص 238؛ ج 2، ص 353؛ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج 10، ص 262 و 263] وقوله: «فما لا يعرف بشيءٍ من الحواس لم يكن إلا معدومًا» [انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهميّة، ج 1، ص 229]، وهذا غير صحيح؛ لأنّ القوّة العاقلة أكمل من القوّة الحاسّة التي تدرك الكليات وهي غير محسوسة.

ثانيًا: لا يوجد ملازمةٌ بين الأكمليّة والرؤية كما زعم ابن تيمية.

والدليل البسيط على نفي إمكان رؤية الله - تعالى - بالعين: أنّ ما تراه العين لا بدّ أن يكون موجودًا داخل المكان والزمان، والله - تعالى - وجودٌ متعالٍ على الزمان والمكان، لأنّه خلقهما وبدأ شريطهما من الصفر والعدم، فكيف تفرضه محدودًا بهما خاضعًا لقوانينهما؟ [انظر: الكوراني، الانتصار، ص 9 و 10]

على كلّ حال، رؤية الله ممكنةٌ عند ابن تيمية؛ لأنّ وجوده أكمل الموجودات، فالسؤال هنا هل يمكن لنا أن نراه - تعالى - في هذه الدنيا أو الآخرة من منظاره؟ أجبنا عنه إجمالًا. والآن نجيب عن هذا السؤال بالتفصيل في النقاط التالية:

2 - رؤيته في الحياة الدنيا

مسألة رؤية الله ﷻ في الدنيا تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: رؤيته - تعالى - في اليقظة.

القسم الثاني: رؤيته - تعالى - في المنام.

أ - في اليقظة

ومن ادعى رؤية الله في الدنيا بعين رأسه فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة، وهو ضالٌّ، ويدل عليه قول ابن تيمية: «من قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرون الله بعينه في الدنيا فهو مبتدعٌ ضالٌّ، مخالفٌ للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، لا سيما إذا ادعوا أنهم أفضل من موسى، فإن هؤلاء يستتابون، فإن تابوا وإلا قُتلوا» [ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 6، ص 512].

وصرح أن رسول الله ﷺ لم ير ربه في الدنيا بالعين الباصرة الحسية، وإن كان هناك اختلاف في الروايات حول رؤيته: «وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: "رأى محمدٌ ربه بفؤاده مرتين" وعائشة أنكرت الرؤية... وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحدٍ من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك؛ بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل؛ كما في صحيح مسلم: "عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: نور أرى أراه" [ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 6، ص 509 و 510؛ وانظر: ج 5، ص 490 و 491].

يرد عليه: سؤال أبا ذر وجواب رسول الله ﷺ عنه "نور أرى أراه" المطلق؛ إذ لم يذكر ﷺ قيد الدنيا أو الآخرة في ذلك. إذن يثبت منه أن رؤية الله غير ممكنة في الدنيا والآخرة.

وبين ابن تيمية علة عدم إمكان رؤية الله في الدنيا بالعين، حيث قال في منهاج السنة: «وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبقارنا، لا لامتناع الرؤيا، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقهم رؤيته؛ ولهذا لما تجلّى الله للجبل خر موسى صعقاً: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: 143] بأنه لا يراك حيًّا إلا مات، ولا

يابس إلا تدهده، فهذا للعجز الموجود في المخلوق، لا لامتناع في ذات المرئي، بل كان المانع من ذاته، لم يكن إلا لنقص وجوده حتى ينتهي الأمر إلى المعدوم الذي لا يتصور أن يرى» [ابن تيمية، منهاج السنة، ج 2، ص 332 و333].

يشكل عليه: من لوازم كلامه أن الله - تعالى - جسم، فإذا كان كذلك لماذا لا نرى ربنا هنا في هذه الدنيا؟ وجوابه هو: لشدة نوره أو لضعف بصرنا. ويشكل عليه فماذا يحصل في الآخرة؟ هل نرى ربنا لضعف نوره - نعوذ بالله من ذلك - أو لشدة أبصارنا؟ الأول محال فالثاني هو الصحيح كما قاله، يعني نرى ربنا في الآخرة لشدة أبصارنا. السؤال هنا فلماذا لم يجعل الله شدة في أبصارنا في هذه الدنيا لكي نراه؟ وهل قوة البصر في الآخرة لوحدها كافية لرؤيته - سبحانه - مع بقاء شدة نوره؟ وهذا يعني قدرتنا على الإحاطة به؛ لأنها من لوازم الرؤية البصرية، والله - تعالى - لا يمكن الإحاطة به؛ لأنه غير متناهٍ وغير محدودٍ محدودٍ.

ب - في المنام

يقول ابن تيمية: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورٍ مُتَنَوِّعَةٍ على قدر إيمانه و يقينه؛ فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يُشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكمٌ غير رؤيا الحقيقة في اليقظة» [ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 3، ص 390].

ويصرح بأن الإنسان يمكن أن يرى ربه في المنام ولا يرد عليه نقص ولا عيب: «ولمّا اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم، وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلّق به سبحانه وتعالى» [ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ج 1، ص 327].

رأي ابن تيمية في باب رؤية الله في المنام ينسجم مع مبانيه الفكرية في نظرية المعرفة، يعني ما هو المحسوس والمتخيّل هو الموجود، وما ليس بمحسوس فلا وجود له.

يشكل عليه:

أولاً: يلزم منه تجسيم الله ﷻ؛ لأن كل ما نراه في المنام هو صورة الشيء، ولا تتحقق صورة من دون مادّة. والله - تعالى - ليس له مادّة ولا صورة، فلا تستطيع أن تراه لا في اليقظة ولا في المنام.

ثانياً: مع قطع النظر عن التجسيم، لا يمكن رؤيته في المنام؛ لأن الله لا يشبه شيئاً، قال

تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11]. نعم، يمكن أن يكلمه ربه، لكن مهما رأى من صورة، مثل صورة إنسانٍ أو حيوانٍ، فليست هي صورة الله جلّ وعلا؛ لأنّ الله لا شبيه له وليس كمثل شئ.

3- رؤيته ﷺ في الآخرة

يذكر ابن تيمية: «الربّ - تعالى - يمكن رؤيته بالأبصار، والمؤمنون يرونه يوم القيامة وفي الجنة» [ابن تيمية، الردّ على المنطقيين، ص 310].

ويفسّره بقوله: «إنّ المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحباً، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، يرونه - سبحانه - وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى» [ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 3، ص 144؛ العقيدة الواسطية، ص 91].

ويؤكّد نفس المعنى بعبارته: «وقد عرف من مذهب السلف وأهل السنة والجماعة أنّ الله يمكن أن يرى في الآخرة، وكذلك الملائكة والجنّ يمكن أن ترى، وما يقوم بالمرئيات من الصفات يمكن أن يعرف بطريقها، كما تعرف المسموعات بالسمع، والملموسات باللمس» [ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج 6، ص 107].

ينقل ابن تيمية كلاماً من أحمد بن حنبل في رؤية الله: «أحاديث الرؤية تؤمن بها ونعلم أنّها حقٌّ، ونؤمن بأننا نرى ربنا يوم القيامة لا نشكّ فيه ولا نرتاب، قال: وسمعت أبا عبد الله (ابن خزيمة) يقول: من زعم أنّ الله لا يرى في الآخرة فقد كفر وكذب بالقرآن وردّ على الله تعالى أمره، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل» [ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 6، ص 499 و500؛ ج 3، ص 391 و107].

فالذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة، فهو كافرٌ - عند ابن تيمية - فإن كان ممّن لم يبلغه العلم ذلك، عرّف ذلك كما يعرف من لم تبلغه شرائع الإسلام، فإن أصرّ على الجحود بعد بلوغ العلم له، فهو كافرٌ. [انظر: المصدر السابق، ج 6، ص 486 (بتصرّف)]

يرد عليه: إطلاق قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الشامل لعالم الدنيا وعالم الآخرة، يقول: «الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر» [نهج البلاغة، الخطبة 185]. فأمر المؤمنين أنكر الرؤية البصريّة، فهل هو كافرٌ عنده؟

4- أدلة رؤيته سبحانه

أما أدلة إثبات رؤية الله يوم القيامة عند ابن تيمية هي: قول سلف الأمة وأئمتها وجهاهير المسلمين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها، والقرآن، والأحاديث المتواترة، والعقل. [انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج 3، ص 341-343؛ الاستقامة، ج 2، ص 104؛ الفتاوى الكبرى، ج 2، ص 405؛ مجموع الفتاوى، ج 10، ص 699؛ العقيدة الواسطية، ص 74]

أ- القرآن الكريم

- فمن أدلة الكتاب على الرؤية من منظار ابن تيمية قوله سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [سورة القيامة: 22 و23]. يقول: «فمن قال: لا يراه أحد يوم القيامة، فقد جحد. والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه، ونضرتهم إياهم» [ابن تيمية، الفتوى الحموية الكبرى، ص 312].

يرد عليه: أن المراد بالنظر في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [سورة القيامة: 22 و23] هو انتظار الثواب لا النظر بالأبصار؛ لأنه متعذر في حقه ﷻ لانتهاء الجهة عنه. [انظر: الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص 412]

- الآية الثانية التي تدل على رؤية الله يوم القيامة من منظار ابن تيمية هي: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: 26] يذكر أن الزيادة وإن كانت مبهمه، إلا أنه قد ورد في حديث صهيب تفسير النبي ﷺ لها بالرؤية، كما روى ذلك مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادوا يا أهل الجنة إن لكم عند الله - تعالى - موعداً يريد أن ينجزكموه. قالوا: ما هو؟ ألم يبئس وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجزنا من النار؟ فيكشف الله عنهم الحجاب فينظرون إلى الله - تعالى - فما شيء أعطوه أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة» [ابن تيمية، أمراض القلب وشفائها، ص 66؛ مجموع الفتاوى، ج 6، ص 499].

إذن المراد من الزيادة عند ابن تيمية هو النظر إلى الله ﷻ.

يشكل عليه: أنه لو صحت الرواية التي تفسر الزيادة بالنظر المادّي إلى الله - سبحانه - فلا يمكن النظر إليه؛ لأنّ وجوب وجود الواجب ﷻ يقتضي تجرّده ونفي الجهة والحيز عنه، فينتفي

الرؤية عنه بالضرورة؛ لأنّ كلّ مرثيٍّ فهو من جهةٍ يشار إليه بأنه هنا أو هناك، ويكون مقابلًا أو في حكم المقابل، ولما انتفى هذا المعنى عنه - تعالى - انتفت الرؤية. [انظر: الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص 411]

- الآية الثالثة التي تدلّ على رؤية الله يوم القيامة من منظار ابن تيمية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام: 103] يقول ابن تيمية: «نفي الإدراك الذي هو الإحاطة، وذلك يقتضي كمال عظمته، وأنه بحيث لا تدركه الأبصار فهو يدلّ على أنه إذا رئي لا تدركه الأبصار، وهو يقتضي إمكان رؤيته ونفي إدراك الأبصار إيّاه لا نفي رؤيته، فهو دليلٌ على إثبات الرؤية ونفي إحاطة الأبصار به، وهذا يناقض قول النفاة، وأمّا مجرّد الرؤية فليست صفة مدح، فإنّ المعدوم لا يرى؛ ولهذا نظائر في القرآن» [ابن تيمية، الصفدية، ج 2، ص 65 و66].

يشكل عليه: ما ذكره ابن تيمية بأنّ الإدراك هو الإحاطة. هذا هو أول الكلام؛ لأنّ استدلال نفي الرؤية بالآية يتوقّف على البحث في مرحلتين:

المرحلة الأولى: في بيان مفهوم الدرك لغة: الدرك في اللغة اللحوق والوصول وليست بمعنى الرؤية، ولو أريد منه الرؤية فإنّما هو باعتبار قرينية المتعلّق.

المرحلة الثانية: في بيان مفهوم الآيتين: أنه - سبحانه - لما قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ربّما يتبادر إلى بعض الأذهان أنه إذا صار وكيلاً على كلّ شيء، يكون جسماً قائماً بتدبير الأمور الجسمانية، لكن يدفعه بأنه - سبحانه - مع كونه وكيلاً لكلّ شيء ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، وعندما يتبادر من ذلك الوصف إلى بعض الأذهان أنه إذا تعالى عن تعلق الأبصار فقد خرج عن حيطه الأشياء الخارجية، وبطل الربط الوجودي الذي هو مناط الإدراك والعلم بينه وبين مخلوقاته، يدفعه قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، ثمّ تعليقه بقوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ و"اللطيف" هو الرقيق النافذ في الشيء، و"الخبير" من له الخبرة الكاملة، فإذا كان - تعالى - محيطاً بكلّ شيءٍ لرقتة ونفوذ في الأشياء، كان شاهداً على كلّ شيءٍ، لا يفقده ظاهر كلّ شيءٍ وباطنه، ومع ذلك فهو عالمٌ بظواهر الأشياء وبواطنها من غير أن يشغله شيءٌ عن شيءٍ أو يحتجب عنه شيءٌ بشيءٍ.

وبعبارةٍ أخرى أنّ الأشياء في مقام التصور على أصناف:

1- ما يرى ويرى كالإنسان.

2- ما لا يرى ولا يرى كالأعراض النسبية كالأبوة والبنوة.

3- ما يرى ولا يرى كالجملات.

4- ما يرى ولا يرى.

وهذا القسم الأخير تفرّد به خالق جميع الموجودات بأنه يرى ولا يرى، والآية بصد مدحه وثنائه بأنه جمع بين الأمرين، يرى ولا يرى، لا بالشق الأول وحده نظير قوله سبحانه: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [سورة الأنعام: 14]. ودلالة الآية على أنه - سبحانه - لا يرى بالأبصار بمكان من الوضوح. [انظر: سبحاني، رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل الصريح، ص 57 - 61]

والذي قاله ابن تيمية بأنه بحيث لا تدركه الأبصار فهو يدلّ على أنه إذا رئي لا تدركه الأبصار، وهو يقتضي إمكان رؤيته. يرد عليه: أنّ الرؤية تستلزم التجسيم. وإذا أجب عنه بلا كيف، فيشكل عليه بأنّ رؤية الله بلا كيف مثل صورة الأسد بلا رأس وذنب.

ب - الأحاديث

يذكر روايات كثيرة نذكر منها بقوله: «كما قال النبي ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ". وفي لفظ: "كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ صَحْوًا"، وفي لفظ: "هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيِي الشَّمْسِ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيِي الْقَمَرِ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ" [ابن تيمية، منهاج السنة، ج 3، ص 341 - 343؛ ج 2، ص 332 و333].

يرد عليها:

أولاً: هذه الأحاديث آحاد، لا يقبل الاستدلال بها في مسائل الاعتقاد ومخالفة للمعايير العقلية القطعية.

ثانياً: لو سلّمنا هذه الروايات فمن المحتمل أن يكون معنى الرؤية الواردة في الأخبار العلم؛ وذلك أنّ الدنيا دار شكوكٍ وارتبابٍ وخطراتٍ. فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله وأموره في ثوابه وعقابه ما تزول به الشكوك، ويعلم حقيقة قدرة الله ﷻ. لهذا الاحتمال يكفي

لبطلان الاستدلال. إذن هذه الروايات قاصرة عن إثبات الرؤية الباصرة لله - سبحانه - يوم القيامة. [انظر: الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص 411 نقلًا عن الشيخ الصدوق في: التوحيد]

ج- قول السلف

الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين - في نظر ابن تيمية - يؤكّدون على أنّ الله يُرى في الآخرة بالأبصار عيانًا، وأنّ أحدًا لا يراه في الدنيا بعينه، لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب في المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها. [انظر: ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، ج 1، ص 100]

يرد عليه: قول السلف حجّة عند ابن تيمية مطلقًا، وله مرجعية في فهم النصوص الدينية. أمّا حجّة عندنا بشرط أن يكون موافقًا للمعايير العقلية القطعية. وهنا قولهم في باب الرؤية البصرية غير موافق للمعايير العقلية القطعية، إذن قولهم غير حجّة.

د- العقل

ويقدم ابن تيمية دليلين عقليين لإثبات رؤية الله في الآخرة، نذكرهما مع النقد في النقاط التالية:

الدليل الأوّل: «إنّ أهل السنّة والجماعة المقرّين بأنّ الله - تعالى - يُرى متفقون على أنّ ما لا يمكن معرفته بشيءٍ من الحواسّ، فإنّما يكون معدومًا لا موجودًا» [انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ج 2، ص 341]، فلا بدّ أنّ يكون - سبحانه - يُحس في الآخرة.

ويؤكّد نفس المعنى بقوله: «إنّ اعتراف الفطر بأنّ الله فوق العالم أعظم من اعترافها بأنّه يُرى ودلالة الكتاب والسنّة وإجماع سلف الأمة على ذلك أعظم من دلالة هذه الأصول على رؤية الله تعالى، واعتراف القلوب بأنّ ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه لا يكون إلّا معدومًا أعظم من اعترافها بأنّ ما لا يمكن رؤيته لا يكون إلّا معدومًا» [المصدر السابق، ج 4، ص 313].

يشكل عليه:

أولًا: أنّ هذه القضية (ما لا يمكن معرفته بشيءٍ من الحواسّ، فإنّما يكون معدومًا لا موجودًا) كليّة. وابن تيمية ينكر القضايا الكليّة بأنّها تفيد المعرفة. والدليل على ذلك قوله: «فقد

تبيّن أنّ القضايا الكليّة البرهانية التي يجب القطع بكليّتها التي يستعملونها في قياسهم لا تستعمل في شيء من الأمور الموجودة المعيّنة، وإنّما تستعمل في مقدرات ذهنيّة. فإذا لا يمكنهم معرفة الأمور الموجودة المعيّنة بالقياس البرهانيّ وهذا هو المطلوب» [ابن تيمية، الردّ على المنطقيين، ص 303].

ثانياً: ذكر ابن تيمية في موضع آخر كلاماً يناقض هذا الكلام وهو قوله: «عدم العلم ليس علماً بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود» [المصدر السابق، ص 100].
الكلام الأوّل يقول إنّ غير المحسوس معدوم، والكلام الثاني يذكر أنّ عدم إدراك الشيء لا يستلزم عدم وجوده. وهذا تناقض.

الدليل الثاني: يقول ابن تيمية: «فإنّ الرؤية وجودٌ محضٌ، وهي إنّما تتعلّق بوجودٍ لا بمعدومٍ، فما كان أكمل وجوداً، بل كان وجوده واجباً فهو أحقّ بها ممّا يلازمه العدم؛ ولهذا يشترط فيها النور الذي هو بالوجود أولى من الظلمة والنور الأشدّ كالشمس لم يمتنع رؤيته لذاته، بل لضعف الأبصار، فهذا يقتضي أن نعجز عن رؤية الله مع ضعف أبصارنا؛ ولهذا لم يطق موسى رؤية الله في الدنيا، لكن لا يمتنع أن تكون رؤيته ممكنةً، والله قادرٌ على تقوية أبصارنا لئلا» [المصدر السابق، ص 238].

يرد عليه: بأنّ الاستدلال الذي قام به ابن تيمية لإثبات رؤية الله سبحانه، في الحقيقة هو استدلالٌ أراد أن يثبت به تجسيم الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه قائلٌ بجسمانيّة جميع الأشياء في هذا العالم. وقد مضى نقد الأكمليّة في بحث إمكان رؤية الله.

ويصرّح بأنّ الله - سبحانه - سيكون له الجسم في الآخرة بقوله: «وقد يراد بالجسم ما يشار إليه أو ما يرى أو ما تقوم به الصفات، والله - تعالى - يرى في الآخرة وتقوم به الصفات، ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم، فإن أراد بقوله ليس بجسم هذا المعنى، قيل له هذا المعنى الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ معنيّ ثابتٌ بصحيح المنقول وصریح المعقول، وأنت لم تقم دليلاً على نفيه، وأمّا اللفظ فبدعةٌ نفيّاً وإثباتاً، فليس في الكتاب ولا السنّة، ولا قول أحدٍ من سلف الأئمة وأئمّتها إطلاق لفظ الجسم في صفات الله - تعالى - لا نفيّاً ولا إثباتاً» [ابن تيمية، منهاج السنّة، ج 2، ص 134 و135].

فقد عرّف الله - سبحانه - الذي يعبد بالأمر التالية:

1 - أنّه يشار إليه.

2- أنه يُرى.

3- أنه تقوم به الصفات فيكون مركّباً.

4- أن له مكاناً وجهةً، بدليل رفع الناس أيديهم عند الدعاء إلى الأعلى.

فالإله بهذا المعنى عنده ثابتٌ بصحيح المنقول وصریح المعقول.

يُشكل عليه: [انظر: سبحاني، تجسيم و تشبيه در عقايد ابن تيميه، پيشواری وهاييان، ص

[9]

أولاً: أننا لا ندري ماذا يريد بقوله: ثابتٌ بصحيح المنقول، فهل مراده منه الأخبار السابقة الدالة على جواز الرؤية؟ فما اختاره يصاده كاملاً حيث يقول القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: 11]، فلو كان - سبحانه - جسمًا يلزم أن يكون له طولٌ وعرضٌ وارتفاعٌ، وبالتالي يكون مركّباً من أجزاءٍ محتاجاً في تحقّقه إلى كلّ جزءٍ.

ثانياً: وأما ما نسبة إلى صريح المعقول فهو أيضاً يصاده تماماً، إذ لو كان جسمًا لاحتاج إلى مكانٍ وزمانٍ وغيرها من لوازم الجسم والجسمانيّات، وكلّها تتنافى مع وجوده.

ثالثاً: إذا كان محتاجاً إلى مكانٍ، فالمكان إمّا أن يكون قديماً فيكون إلهاً ثانياً، وإن كان حادثاً أحدثه سبحانه، فأين كان هو قبل إحداث هذا المكان؟

رابعاً: وأما رفع الناس أيديهم عند الدعاء، فلا يعني أنه - سبحانه - في السماء، بل إمّا يريد إفهام رفعة مقام الله - سبحانه - برفعهم أيديهم، مضافاً إلى أنّ البركات تنزل من السماء، قال سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رُزُقُكُمْ وَمَا تُوَعَّدُونَ﴾ [سورة الذاريات: 22]. [انظر: السبحاني، ابن تيمية فكرياً ومنهجياً، ص 32 - 34]

ويفسّر ابن تيمية قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11]، و﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: 65]، بأنه «لا يدلّ على نفي الصفات بوجهٍ من الوجوه ، بل ولا على نفي ما يسمّيه أهل الاصطلاح جسمًا بوجهٍ من الوجوه» [ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج 1، ص 115]، مراد ابن تيمية من الصفات، الصفات الخبرية التي أخبر عنها سبحانه، كاليد والوجه وغيرهما، فهو يعتقد أنّ الجميع يوصف به - سبحانه - من غير تأويل ولا تعطيل، بل بنفس المعنى اللغويّ المادّي. [انظر: السبحاني، ابن تيمية فكرياً ومنهجياً، ص 31؛ انظر: سبحاني، تجسيم و تشبيه در عقايد ابن تيميه، پيشواری وهاييان، ص 8؛ عبد الحميد،

ابن تيمية.. حياته وعقائده، ص 129 و130]

خامساً: هناك آيات تنفي الرؤية بالصرحة مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام: 103] جاءت الآية مدحاً لذات الله نافيةً عنه توهم الجسم، فالبصر يدرك الجسم إدراكاً بصرياً في الشاهد والغائب، والإدراك عند اقتترانه بالبصر يفيد الرؤية، وإذا الرؤية في الشاهد لا تكون إلا لمن له محلٌّ أو حالٌ بالمحل، أي لا تكون إلا للجسم أو ما هو في حكم الجسم: الظل والصورة في المرآة والأعراض الحادثة في الأجسام، والله لا يحويه زمانٌ، ولا يحيط به مكانٌ، فلا يمكن وقوع الرؤية عليه عقلاً، لتأتي هذه الآية توكيداً لما تعلمه العقول، وهذه الآية محكمة، فالآية خالية من أي كلمة أو إسناد فيه إيهامٌ أنّ الظاهر غير مقصود.

5 - لوازم القول برؤيته سبحانه

هناك لوازم متعدّدة للرؤية كالجهة، والمكان، والزمان، والتركيب، والتجسيم. نذكر من لوازم بحث الرؤية هنا التجسيم فقط؛ لأننا أشرنا إليه سابقاً خلال البحث إجمالاً، ولكن نسلط الضوء هنا على ذلك بالتفصيل.

يقول ابن تيمية: «ولفظ الجسم والجوهر ونحوهما لم يأت في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا كلام أحد - من الصحابة والتابعين لهم بإحسان - إلى يوم الدين وسائر أئمة المسلمين - التكلّم بها في حق الله - تعالى - لا بنفي ولا إثبات» [ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 17، ص 313؛ انظر: تفسير سورة الإخلاص، ص 71 و72؛ بيان تلبيس الجهمية، ج 1، ص 373].

ويكرّس نفس المعنى بأن ذكر لفظ "الجسم" في أسماء الله وصفاته بدعة، لم ينطق بها كتاب ولا سنة، ولا قال بذلك أحد من سلف الأمة وأئمتها؛ إذ لم يقل أحد منهم: إنّ الله جسمٌ، ولا إنّ الله ليس بجسمٍ، ولا إنّ الله جوهرٌ، ولا إنّ الله ليس بجوهرٍ. ودليله هو: أنّ لفظ "الجسم" لفظٌ محمّلٌ، فمعناه في اللغة هو البدن، ومن قال: إنّ الله مثل بدن الإنسان فهو مفتري على الله، ومن قال: إنّ الله يُماثله شيءٌ من المخلوقات فهو مفتري على الله. ومن قال: إنّ الله ليس بجسمٍ، وأراد بذلك أنّه لا يُماثله شيءٌ من المخلوقات، فالمعنى صحيحٌ وإن كان اللفظ بدعةً. [انظر: ابن تيمية، جامع المسائل، ج 3، ص 206]

يرد عليه:

أولاً: هذا الكلام يدل على جمود ابن تيمية على النص.

ثانياً: دليله ليس بصحيح؛ لأنّ الجسم لغةً يدلّ على تَجْمَعُ الشَّيْءِ، لا البدن [انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 457] وإن كان مصداقه هو البدن. إذن تعريفه للجسم غير صحيح؛ فقد خلط بين مفهوم الجسم وما يتحقّق به الجسم، أعني أنّ ابن تيمية لم يفرّق بين المفهوم والمصداق.

ويذكر دفاعاً عن المشبهة بأنّ اسم "المشبهة" غير مذكور في القرآن والحديث، ويقول: «إذا كان كذلك فاسم (المشبهة) ليس له ذكرٌ بذمّ في الكتاب والسنة، ولا كلام أحدٍ من الصحابة والتابعين» [ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ج 1، ص 387].

ويؤكّد نفس المعنى بقوله: «وأما ذكر التجسيم وذمّ المجسّمة فهو لا يعرف في كلام أحدٍ من السلف والأئمة، كما لا يعرف في كلامهم أيضاً القول بأنّ الله جسمٌ، أو ليس بجسمٍ» [ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج 1، ص 249؛ انظر: سبحاني، تجسيم و تشبيه در عقايد ابن تيميه، پيشواری وهايان، ص 8].

ويقول: «إثبات موجودٍ قائمٍ بنفسه لا يشار إليه ولا يكون داخل العالم ولا خارجه، فهذا ممّا يعلم العقل استحالة و بطلانه بالضرورة» [ابن تيمية، منهاج السنة، ج 2، ص 334].

ومن الواضح أنّ قابلية الرؤية من شرائط الجسم، والاستدلال الذي قام به ابن تيمية يدلّ على هذا المطلب، ولكنّه لا يصرّح بتجسيم الله سبحانه، مع ذلك يذكر أنّ الله - تعالى - له حدٌّ وغايةٌ، وأنّ له صورةً، ووجهًا، وعينين، وفمًا، ويدين، و كفاً، وأنّه جالسٌ على العرش، وأنّه ينتقل من مكانٍ إلى مكانٍ، فينزل في النصف الثاني من الليل إلى السماء الدنيا وينادي ثم يصعد. [انظر: ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ج 1، ص 114 و 121 و 341؛ ج 2، ص 530، 599؛ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج 2، ص 23؛ ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، ج 3، ص 26؛ ج 4، ص 94] تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. فوقع في التشبيه وفي الغنائية بين ذات الله - تعالى - وصفاته.

ويصرّح ابن تيمية في موضع آخر بأنّ «ما ثبت بالكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة هو حقٌّ، وإذا لزم من ذلك أن يكون هو الذي يعنيه بعض المتكلمين بلفظ الجسم، فلازم الحقّ حقٌّ» [ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج 6، ص 547؛ راجع: رضوانى، سلفى گرى (وهاييت) و پاسخ به شبهات، ص 51، 57 و 226].

ويكرس ابن تيمية قوله: «تواتر عن رسوله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة من أنه - سبحانه - فوق سماواته على عرشه، عليّ على خلقه» [ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 3، ص 142].

ومعنى العبارة أنه سبحانه:

1- فوق السماوات.

2- جالس على عرشه.

3- في مكانٍ مرتفعٍ عن السماوات والأرض.

ولا معنى لهذه الجملة إلا أنه ﷺ كملكٍ جالسٍ على الكرسي في مكانٍ مرتفعٍ ينظر إلى العالم تحته. [انظر: السبحاني، ابن تيمية فكرًا ومنهجًا، ص 36؛ انظر: سبحاني، تجسيم و تشبيه در

عقايد ابن تيمية، پيشواری وهاييان، ص 11]

ويكرس ابن تيمية أن مذهب سلف الأمة وأئمتها هو أن يوصف الله - سبحانه - بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

[انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 5، ص 195]

وينسب تجسيم الله إلى السلف صريحًا بقوله: «إنما النزاع المحقق أن السلف والأئمة آمنوا بأن الله موصوفٌ بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، من أن له علمًا وقدرةً وسمعًا وبصرًا، ويدين ووجهًا وغير ذلك، والجهمية أنكرت ذلك، من المعتزلة وغيرهم» [ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ج 1، ص 372].

يرد عليه:

أولاً: بأنه ما المراد من السلف عنده؟ السلف في اصطلاح ابن تيمية: هم من اقتدوا وانتهجوا نهج النبي محمد ﷺ، وساروا عليه، وطبقوه بإحسانٍ إلى يوم الدين، ويتمثل السلف الصالح بأهل الأزمنة الثلاثة الأولى؛ التي تبدأ بعهد النبي ﷺ، ثم عهد الصحابة وتنتهي بعهد التابعين. المشكلة في الأسس والمباني عند ابن تيمية هي أن قول السلف حجة شرعية مطلقًا وله مرجعية في فهم النصوص الدينية. وهذا غير صحيح عندنا؛ لأن المعايير العقلية هي الملاك. إذا كان قول السلف موافقًا للمعايير فهو حجة بسبب الموافقة، لا بسبب أنه حجة مطلقًا.

ثانيًا: القول باليد والوجه من دون تكييف كالأسد بلا رأسٍ وذنبٍ، هل هو أسد؟ إذا لم يكن له رأسٌ وذنبٌ فكيف فهم أنه أسد؟

ثالثًا: هل يمكن أن يكون الشيء له وجهٌ ويدٌ ولم يكن له الجسم؟ والدليل على أن مراد ابن

تيمية من اليد العضو المادّي هو أنّه يحمل النصوص على الظاهر دون التأويل.

ويصرّح أكثر من ذلك بأن الله - سبحانه - خارج العالم وقبله وفوقه بقوله: «إنّ الباري - تعالى - خارج عن العالم ليس فيه، وهذه دلّت على أنّ الباري سابق للعالم لم يقارنه العالم، وكذلك قال سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [سورة الحديد: 3].

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: "أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء" [النيسابوري، صحيح مسلم، ص 1088، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، الباب 17: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ح 2713].

والبارئ - سبحانه وتعالى - فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة، كما أنّ التقدّم على الشيء قد يقال: إنّه بمجرد الرتبة، كما يكون بالمكان؛ مثل تقدّم العالم على الجاهل، وتقدّم الإمام على المأموم، فتقدّم الله ﷻ على العالم ليس بمجرد ذلك؛ بل هو قبله حقيقةً، فكذلك العلوّ على العالم، قد يقال: إنّه يكون بمجرد الرتبة، كما يقال العالم فوق الجاهل، وعلوّ الله على العالم ليس بمجرد ذلك، بل هو عالٍ عليه علوّاً حقيقياً، وهو العلوّ المعروف والتقدّم المعروف» [ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، ج 1، ص 390؛ انظر: سبحاني، تجسيم وتشبيه در عقايد ابن تيمية، پيشواری وهابیان، ص 110].

إذن فهو يحمل الآيات على الظاهر، بمعنى أنّ الله - سبحانه - له مكانٌ خاصٌّ في هذا العالم.

ويشكل عليه بأنّ الشيء الذي له مكانٌ خاصٌّ فهو محدودٌ. والشيء المحدود يستلزم الاحتياج إلى الغير. والشيء المحتاج مخلوقٌ وليس بخالق.

خاتمة البحث

توصّلت من خلال البحث إلى النتائج التالية:

1 - رؤية الله في الدنيا من منظار ابن تيمية ممكنة ثبوتاً، ولكن غير واقع إثباتاً لضعف البصر الحسيّ. ويصرّح أنّ رسول الله ﷺ لم ير ربه في الدنيا بالعين الباصرة الحسية. يرد عليه بأنّ ما تراه العين لا بد أن يكون موجوداً داخل المكان والزمان، والله - تعالى - وجودٌ متعالٍ على الزمان والمكان؛ لأنّه خلقهما وبدأ شريطهما من الصفر والعدم، فكيف تفرضه محدوداً بهما خاضعاً لقوانينهما؟

2- يمكن للمؤمن أن يرى ربه في المنام من وجهة نظر ابن تيمية. وهذا ينسجم مع مبانيه الفكرية في نظرية المعرفة. ويلزم منه تجسيم الله ﷻ؛ لأن كل ما نراه في المنام هو صورة الشيء ولا تتحقق صورة من دون مادة. والله - تعالى - ليس له مادة ولا صورة. فلا تستطيع أن تراه لا في اليقظة ولا في المنام. مع قطع النظر عن التجسيم، لا يمكن رؤيته في المنام؛ لأن الله لا يشبهه شيء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11]، مهما رأى أي صورة، مثل صورة إنسان أو حيوان فليست هي صورة الله جل وعلا؛ لأن الله لا شبيه له ولا كفاء له.

3- أدلة إثبات رؤية الله يوم القيامة عند ابن تيمية هي: قول سلف الأمة وأئمتها وجاهير المسلمين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها، والقرآن، والأحاديث المتواترة، والعقل. وكلها محدوشة؛ لأن رؤية الله غير ممكنة في الدنيا والآخرة عقلاً؛ لأنه يلزم منه أن الله - تعالى - محدود، وله جهة، ومكان وزمان. والذي له هذه الصفات له جسم، وإن كان ابن تيمية ينكر التجسيم. لكن إنكاره غير مقبول؛ لأنه يقبل رؤيته، ومن لوازمه التجسيم.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

ابن تيمية، أحمد، الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، السعودية، ط 1، 1403 هـ.

ابن تيمية، أحمد، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط 2، 1419 هـ.

ابن تيمية، أحمد، الرد على المنطقيين، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط 3، 1397 هـ.

ابن تيمية، أحمد، الصفدية، تحقيق: محمد رشاد سالم، بلا تاريخ.

ابن تيمية، أحمد، العقيدة الواسطية، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، السعودية، ط 2، 1420 هـ.

ابن تيمية، أحمد، الفتاوى الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1408 هـ.

ابن تيمية، أحمد، الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعة، الرياض، ط 2، 1425 هـ.

ابن تيمية، أحمد، أمراض القلب وشفائها، المطبعة السلفية، القاهرة، ط 2، 1399 هـ.

ابن تيمية، أحمد، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط 3، 1415 هـ.

ابن تيمية، أحمد، بيان تلبيس الجهمية، تحقيق: يحيى بن محمد الهندي، مجمع الملك فهد، السعودية، 1426 هـ.

ابن تيمية، أحمد، تفسير سورة الإخلاص، تقديم: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الطباعة المحمدية، الأزهر، القاهرة، بلا تاريخ.

ابن تيمية، أحمد، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني، بلا تاريخ.

ابن تيمية، أحمد، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر للجامعة، السعودية، ط 2، 1411 هـ.

ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، مجمع الملك

فهد، 1425 هـ.

ابن تيمية، أحمد، مجموعة الرسائل والمسائل، تعليق: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، بلا تاريخ.

ابن تيمية، أحمد، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط 1، 1406 هـ.

ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ.

جمع من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بلا تاريخ.

الحسنين، سيد غيور، دراسة نقدية لنظرية المعرفة عند ابن تيمية، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، ط 1، 1398 هـ. ش.

الحسون، علاء، التوحيد عند مذهب أهل البيت، شبكة الإمامين الحسنين للتراث والفكر الإسلامي، قسم اللجنة العلمية في الشبكة، 2010 م.

رضوانى، على اصغر، سلفي غرى (وهابيت) و پاسخ به شبهات، انتشارات مسجد مقدس جمكران، چاپ 9، تابستان 1393 هـ. ش.

سبحاني، جعفر، رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل الصريح، تعريب: موسى مفيد الدين عاصى، مؤسسة الإمام الصادق، قم، 1430 هـ.

السبحاني، جعفر، ابن تيمية فكرياً ومنهجياً، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط 1، 432 هـ.

سبحاني، جعفر، تجسيم و تشبيه در عقايد ابن تيميه، پيشواری وهابيان، فلسفه و كلام، كلام اسلامى، شماره 74، تابستان 1389 هـ. ش.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1403 هـ.

صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط 4، بلا تاريخ.

عبد الحميد، صائب، ابن تيمية.. حياته وعقائده، الغدير، بيروت، لبنان، ط 2، 1423 هـ.

العلامة الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط 16، 1437 هـ.

الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 8، 1426 هـ.

الكوراني العاملي، علي، الانتصار، دار السيرة، بيروت، لبنان، ط 1، 1421 هـ.

النيسابوي، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 419 هـ.

References

- Abadi, al-Fayrouz, *al-Qamoos al-Muheet*, al-Risala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 8th edition, 1426 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *al-Istiqama*, edited by: Muhammad Rashad Salim, Imam Muhammad bin Sa'oud University, Medina, Saudi Arabia, 1st Edition, 1403 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Al-Jawab al-Sahih liman Baddala Deen al-Masih*, edited by: Ali bin Hassan, Abdul Aziz bin Ibrahim, Hamdan bin Muhammad, Dar al-Aasimah, Saudi Arabia, 2nd edition, 1419 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *al-Radd ala al-Matqiyyeen*, Tarjuman al-Sunna Administration, Lahore, Pakistan, 3rd Edition, 1397 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Al-Safadiyyah*, edited by: Muhammad Rashad Saleim, no place, no date.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Al-Aqeeda al-Wasitiyyah*, edited by: Abu Muhammad Ashraf bin Abdul Maqsoud, Adhwa' al-Salaf Library, Saudi Arabia, 2nd edition, 1420 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Al-Fatawa al-Kubra*, edited by: Muhammad Abdul Qadir Ata and Mustafa Abdul Qadir Ata, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1408 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Al-Fatwa al-Hamawiyya al-Kubra*, edited by: Dr. Hamad bin Abdul Mohsin al-Tuwaijri, Dar al-Sumei'i, Riyadh, 2nd edition, 1425 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Heart Diseases and their Cure (amradh al-qalb wa shifa'uha)*, al-Salafiyya Press, Cairo, 2nd edition, 1399 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Bighyatul-Murtad fi al-Radd ala al-Mutafalsifa wel-Qaramita wel-Batiniyya*, edited by: Mousa al-Duweish, al-Uloom welHikam Library, Medina, Saudi Arabia, 3rd edition, 1415 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Bayan Talbees al-Jahmiyya*, edited

- by: Yahya bin Muhammad al-Hunaidi, King Fahd Complex, Saudi Arabia, no edition, 1426 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin , *Interpretation of the Sura of al-Ikhlās*, introduced by : Muhammad Abdul Mon'im Khafaji, Dar al-Muhammadiyah for Printing, al-Azhar, Cairo, no edition, no place and date.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin , *Jami' al-Rasa'il*, edited by: Muhammad Rashad Salim, Dar al-Madani, no edition, no place and date.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Dar' Ta'arudh al-Aql wel-Naql*, edited by: Muhammad Rashad Salim, Culture and Publishing Department, Saudi Arabia, 2nd edition, 1411 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Majmou' al-fatawa*, compiled by: Abdurrahman bin Muhammad bin Qasim and his son Muhammad, King Fahd Complex, no edition, 1425 AH.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Majmou'at al-Rasa'il wel-Masa'il*, commented on by: Muhammad Rasheed Redha, Arab Heritage Committee, no edition, no place and date .
- Ibn Taymiyyah, Ahmad, Taqiyuddin, *Minhaj al-Sunna al-Nabawiyya*, edited by: Muhammad Rashad Salim, 1st Edition, 1406 AH.
- Ibn Faris, Ahmad, *Mu'jam Maqayees al-Lugha*, edited by: Abdul-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, no edition, 1399 A
- A group of authors, *al-Mu'jam al-Waseet*, Arabic Language Academy in Cairo, Dar al-Da'wa, no edition, no place and date.
- Al-Hasanein, Sayyid Ghayour, *a Critical Study of Ibn Taymiyyah's epistemology*, al-Mustafa International Center for Translation and Publishing, 1st edition, 1398 AH.
- Al-Hassoun, Ala', *Monotheism in the Ahlul Bayt's School of thought*, al-Imamein al-Hasanayn Network for Islamic Heritage and thought, Scientific Department, no edition, 2010 AD.
- Redhwani, Ali Asghar, *Salafism (Wahhabism) and answering the Sparious Arguments*, the Holy Mosque of Jamkaran's publications, 9th edition, Summer 1393 Iranian Calendar.
- Subhani, Ja'far, *Ibn Taymiyyah's thought and Methodology*, Imam al-Sadiq

Foundation, 1st edition, 1432 AH.

Subhani, Ja'far, *Embodiment and Anthropomorphism in Ibn Taymiyyah's beliefs, Wahhabi Leadership, Philosophy and Theology, Islamic Theology*, no. 74, summer 1389 Iranian Calendar.

Subhani, Jafar, *the Seeing of God in the light of the Quran, the Sunnah, and Reason*, translated by: Mousa Mofiduddin Aassi, Imam Sadiq Foundation, Qom, no edition, 1430 AH.

Al-Sharif al-Jurjani, Ali Bin Mohammad, *al-Ta'rifat*, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut-Lebanon, 1st edition, 1403 AH.

Salih bin Abdullah bin Hameed, *Nadhratul-Na'eem fi Makarim Akhlaq al-Rasool al_kareem*, Dar al-Waseela for Publishing and Distribution, Jeddah, 4th edition, no place and no date.

Abdul-Hameed, Sa'ib, *Ibn Taymiyyah: His Life and Beliefs*, Al-Ghadeer, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 1423 AH.

Al-Allamah al-Hilli, *Kashf al-Murad fi Sharh Tajreed al-I'tiqad*, Islamic Publishing Foundation, Qom, 16th Edition, 1437 AH.